﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيانُ حالِ النَّصارَى بعد بيانِ حالِ اليهودِ

لَمَّا ذكر اللَّه حالَ اليهود ونَقْضَهُمُ الميثاقَ، بَيَّنَ على إِثْرِ ذلك أنَّ النَّصارى لم يكونُوا أحسنَ معاملةً منَ اليهودِ، فَبيّن مُعامَلَتَهُمْ[1]، فالجُمْلَةَ مَعْطوفَةٌ عَلى جملةٍ سابقةٍ، وهي قَوْلُهُ: ﴿*وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: 12]، كما أنَّ النَّصارى لَمَّا دَخَلُوا فيمن مَضى لأنَّهم من بني إسرائيلَ، خَصَّهم هُنا بالذِّكر؛ لأنَّ كُفرَهم أشدُّ وأَسْمَجُ، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ الآية[2]؛ فذُكِرَ بَعْدَ ميثاقِ اليَهُودِ ميثَاقُ النَّصَارَى[3]، فَهُوَ شروعٌ في بيان خُبْثِ النَّصارى إِثْرَ بيانِ خيانةِ اليهودِ[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَصَٰرَىٰٓ﴾: جَمْعُ نَصْرانٍ للمُذكَّرِ ونَصْرانَةٍ للمؤنث، والغالبُ في الاسْتِعْمَال النِّسبةُ نَصْرانيٌّ ونصرانيَّةٌ؛ وهو مَأْخوذٌ منَ النَّصْرِ والنُّصْرَةِ بمعنى العونِ والإمداد، وأصلُ نَصَرَ يَدُلُّ عَلَى إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ، وإِنَّما سُمِّيَ النَّصارى بذلك لقولهم: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 52]، وقِيلَ سُمُّوا بذلك انتسابًا إلى قريةٍ يُقالُ لها نَصْرانُ، وقيل لِنُزولِ عيسى عليه السلام قريةَ نَاصِرَةَ، فكان يُقال لَهُ عيسى النَّاصريُّ، ثُمَّ نُسِبَ قومُه إليه[5].

(1) السَّمَرْقَنديّ، بحر العلوم: 1/376.
(2) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 6/60.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/145.
(4) القُونَويّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البيضاوي: 7/424.
(5) الرَّاغِب، المُفردات، والزَّمَخْشريّ، أساسُ البلاغة، وابْنُ فارِسٍ، مَقاييسُ اللُّغة: (نصر)، والنيسابوري، باهِرُ البُرْهان: 1/89.

2) ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾: المِيثَاق: العَهْدُ المُوَثَّقُ، من وَثُقَ يَوْثُقُ وَثَاقَةً وإِيثاقًا، والوَثِيقُ: الشَّيءُ المُحْكَمُ، وأَصْلُ (وَثُقَ) يَدُلُّ عَلَى عَقْدٍ وَإِحْكَام، والوَثيقةُ في الأمر: إِحْكامُهُ والأَخْذُ بالثِّقة، والمِيثاقُ: منَ المُواثَقة، العَهْدُ، وَالجَمْعُ مَواثيقُ، والمَعْنى هُنا: أَخَذْنا مِنَ النَّصارى المِيثاقَ على طاعَتي وأَداءِ فَرائِضي، واتّباعِ رُسُلي والتَّصديقِ بِهِمْ[1].

3) ﴿حَظًّا﴾: الحَظُّ النَّصيبُ المُقَدَّرُ مِنَ الفَضْل والخيْر، وفُلَانٌ ذُو حَظٍّ وقِسْم مِنَ الفَضْلِ، والحَظُّ: البَخْتُ، وأَصْلُ الحَظِّ النَّصيبُ، وقَدْ حَظَظَ وأَحَظَّ، فهو مَحْظُوظٌ، والمعنى هنا: نَسُوا مِنَ المِيثَاقِ المَأْخُوذِ عَلَيْهِمْ نَصِيبًا وَافِرًا[2].

4) ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: هَيَّجْنا وألصقْنا، يُقالُ: غَرِيَ بكذا؛ أَيْ: لَصَقَ بِهِ ولَهَجَ، وأَصْلُ ذَلِكَ من الغِراءِ، وهو ما يُلْصَقُ بِهِ، والإِغراءُ: الإِيلاعُ، والمَعْنى هُنا: فَأَلقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالتَّبَاغُضَ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا[3].

5) ﴿ٱلْعَدَاوَةَ﴾: منَ العَدْوِ، وهو التَّجاوزُ ومُنافاةُ الالتئام؛ فتارةً يُعْتَبَرُ بالقَلْبِ؛ فيُقالُ لَهُ العَداوَةُ والمُعاداةُ، وتارَةً بالمَشْيِ؛ فَيُقالُ لَهُ العَدْوُ، والعَدُوُّ: ضِدُّ الوَلِيِّ، والجَمْعُ الأَعْداءُ، وأَصْلُ العَدْوِ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ، والعَداوةُ: تبَاعُدُ القُلُوب والنِّيات، وهي اسْمٌ عامٌّ مِن العَدُوِّ[4].

6) ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: مِنَ البُغْضِ، وهو نِفارُ النَّفْسِ عَنِ الشَّيءِ الذي تَرْغَبُ عَنْهُ، ورجُلٌ بَغِيضٌ، وَقد بَغُضَ بَغَاضَةً؛ أَي: صارَ بَغِيضًا، وبَغَّضَه اللهُ إِلى النَّاسِ تَبْغِيضًا فأَبْغَضُوه؛ أَي: مَقَتُوهُ، وأَصْلُ البُغْضِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الحُبِّ، فَهُوَ نَقِيضُ الحُبِّ، والبِغْضَةُ والبَغْضَاءُ: شدَّة البُغْضِ[5].

---

(1) الخليل، العَينْ، وابْنُ عَبَّادٍ، المُحيط، وابْنُ دُرَيْدٍ، جَمْهَرَةُ اللُّغَة، والجَوْهَريّ، الصِّحاح، وابْنُ فارِسٍ، مَقاييسُ اللُّغَة: (وثق)، وابنُ عُزَيز، غَريبُ القُرْآن، ص: 454، وابن جرير، جامع البيان: 10/135.

(2) الخليل، العَينْ، والرَّاغِب، المُفْردات، وابْنُ مَنْظورٍ، لِسَانُ العَرَب: (حظ)، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (حظظ)، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 2/26.

(3) الخليل، العَينْ: (غر)، والرَّاغِب، المُفْردات: (غرا)، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ: (غري)، وابنُ عزيز، غَريبُ القُرْآن، ص: 56، وابْنُ كَثِير، تَفْسيرُ القرآن العظيم: 3/67.

(4) الأَزْهَريّ، تَهْذيبُ اللُّغَة: (عد)، والرَّاغِب، المُفْردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، والجَوْهَريّ، الصِّحاح: (عدا)، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (عدو)، وابنُ عزيز، غَريبُ القُرْآن، ص: 56.

(5) الأَزْهَريّ، تَهْذيبُ اللُّغَة، والجَوْهَريّ، الصِّحاح، والرَّاغِب، المُفْردات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ مَنْظورٍ، لِسَانُ العَرَب، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (بغض).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أخذ الله الميثاقَ مـنَ الـنّـصارى فتركوه فعذّبَهم في الدُّنيا والآخرة

وَأخذْنا عَلى الذينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَتْباعُ المسيحِ عيسى عليه السلام - ولَيْسُوا كذلك - العَهْدَ المُؤَكَّدَ الذي أخذناه على بَني إِسْرائيلَ: بِأَنْ يُتابعوا رَسُولَهم ويَنْصُروه ويؤازرُوه، فبدَّلوا دينَهم، فَتَرَكوا العَمَلَ بِجُزءٍ مِمَّا ذُكِّرُوا به، كَمَا فَعَلَ أَسْلافُهُمْ مِنَ اليَهودِ، وألقينا بَيْنَهُمُ الخُصومَةَ والكَراهَةَ الشَّديدةَ إلى يوم القيامة، فأصبحوا مُتَقاتِلينَ مُتناحرينَ يُكَفِّرُ بَعْضُهم بَعْضًا إلى يوم القيامة، وسَوْفَ يُخْبِرُهُمُ اللهُ يومئذ بما كانوا يَعْمَلونَ ويُجازيهم عَلَيْهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ تقديم الجَارِّ والمَجْرورِ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾ على مُتَعَلَّقِه:

تَقْرِيرُ المُتَعَلَّقِ والاهتمامُ به وَتَثْبِيتُه في الذِّهْنِ

حَيْثُ قُدِّمَ مُتَعَلَّقُ ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾، وجِيءَ بِضَمِيرِهِ مَعَ العَامِلِ لِلنُّكْتَةِ الدَّاعِيَةِ لِلاشْتِغَالِ مِنْ تَقْرِيرِ المُتَعَلَّقِ وَتَثْبِيتِهِ في الذِّهْنِ؛ إِذْ يَتَعَلَّقُ الحُكْمُ بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ وَبِضَمِيرِهِ، فـ (مِنْ) تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَخَذْنَا﴾، وَالضَّمير في ميثاقهم عائدٌ عَلى المَوْصولِ، والتَّقْديرُ: وَأَخَذْنَا، مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَى، مِيثَاقَهُمْ، فَقُدِّمَ الجارُّ والمجرور للاهتمام به[2].

وَالمَعْنَى: أَنَّهُ تَعالى أَخَذَ مِنَ النَّصارى مِيثاقَ أَنْفُسِهِمْ، وهو الإِيمانُ بِاللهِ وَالرُّسُلِ وَبِأَفْعالِ الخَيْرِ[3]، فَجيء بِتِلْكَ العِبارَةِ لِصورةِ الاهتمام بالمُقَدَّم والتَّشويقِ إلى المُؤَخَّرِ.

نُكتةُ التَّشبيهِ البليغِ في إضافةِ الميثاقِ:

وقد يكونُ ضَميرُ ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾ عائدًا على بني إسرائيل الذين عادت إليهم الضَّمائرُ السَّابقةُ، والمعنى: أخذنا منَ النَّصارى

(1) لَجْنَةٌ مِنْ عُلَماءِ الأَزْهَر، المُنْتَخَب، ص: 147، ونُخْبَةٌ مِنْ أَساتِذَةِ التَّفْسير، التَّفْسيرُ المُيَسَّر، ص: 110، وجَماعَةٌ مِنْ عُلَماءِ التَّفْسير، المُخْتَصَر، ص: 110.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/17، والقُونَويّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البيضاوي: 7/424.

(3) ابْنُ عَطِيَّة، المُحرَرُ الوَجيز: 2/17، وأَبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/207.

ميثاقَ من ذُكِرَ قَبْلَهُمْ من قوم موسى؛ أَيْ: مِثْلَ ميثاقِهم بالإيمان باللّه والرُّسل[1]؛ كقولِ القائلِ: أخذتُ من زيدٍ ميثاقَ عمرٍو؛ أي: مِثْلَ ميثاقِه[2]، وَالإِضَافَةُ هُنا على معنى التَّشْبِيهِ؛ أَيْ: مِنَ النَّصَارَى أَخَذْنَا مِثْلَ ميثَاق اليَهُودِ[3]، فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ حُذِفَت منه الأَدَاةُ فَانْتَصَبَ المُشَبَّهُ بِهِ[4]؛ لأنَّ الجُمْلَةَ مَعْطوفَةٌ عَلى جملةٍ سابقةٍ، وهي قَوْلُهُ: ﴿*وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: 12]، والجامعُ بَيْنَ الجُملتين خياليٌّ باعْتبَار المُتَعَلَّق؛ لأنَّ ذِكْرَ حالِ إحدى الطَّائفتين مِمَّا يُوقِعُ في ذِهْنِ السَّامعِ أنَّ حالَ الأخرى ماذا؟ فكأنَّه قيل: ومن الطائفةِ الأخرى أيضًا أخذْنا ميثاقَهُم[5].

تشبيهُ حالِ النَّصارَى بحالِ مَن سَبَقَهُمْ منَ اليهودِ وأنَّهم سواءٌ في نَقْضِ الميثاقِ

نُكْتَةُ الإطنابِ في التَّعبيرِ عَنِ النَّصَارَى بِالموصولِ وصِلَتِهِ:

وكان الظَّاهرُ أن يُقالَ (وَمِنَ النَّصارى) من دون إطْناب، فَعدلَ عنِ الظَّاهر، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾؛ لِيُصَوِّرَ تِلْكَ الحالَ في ذِهْنِ السَّامع، ويقرَّرَ عنده أنَّهم ادَّعوا نُصْرةَ دينِ اللّه، فَعَلَّقَ كَوْنَهُمْ نَصارى بِقَوْلِهِمْ ودَعواهم، من حيث إنّ لقبَ (النَّصارى) هو اسمٌ شرعيٌّ يقتضي نصرَ دينِ اللّه، وسَمَّوْا به أنفسَهم دون استحقاقٍ ولا مُشابهةٍ بَيْنَ فِعْلهم وقولِهم، فجاءت هذه العبارةُ فاضِحَةً مُوبِّخَةً لهم، مُزَحْزِحَةً لهم عن طريق نَصْرِ دينِ اللّه وأنبيائِه[6].

تَوْبيخُهُمْ وزَجْرُهُمْ عن قَوْلِهِمْ غيرِ المُوَفَّى به

وَلَمَّا كان المقصودُ من هذه الآية ذمَّهم بِنَقْضِ الميثاق المأخوذِ عليهم بنُصْرَةِ اللّه، وبِما يدلُّ على أنَّهم لم يُوفوا بما عَاهدُوا

(1) الزَّمَخْشَرِيّ، الكَشَّاف: 1/616.
(2) الخَفاجيّ، عناية القاضي: 3/224.
(3) قَالَ قَتَادَة: أُخِذَ عَلَى النَّصَارَى لِمِيثَاقُ كَمَا أُخِذَ عَلَى أَهْلِ التَّوْرَاةِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِه، ينظر: أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/207، وقدَّم الزَّمخشري ذِكْرَ هذا الوجه، واستبعده ابنُ عاشور، بحجّةِ أنّ مِيثَاقَ اليَهُودِ لَمْ يُفَصَّلْ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ حَتَّى يُشَبَّهَ بِهِ مِيثَاقُ النَّصَارَى، ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/146.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/145 - 146.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/17، والقُونَويّ، حاشيةُ القُونَويّ على البيضاوي: 7/425.
(6) ابْنُ عَطِيَّة، الْمُحَرَّرُ الوَجيز: 2/170.

عَلَيْهِ منَ النُّصرة عَدَلَ عن قولِه النَّصارى إلى هذا، فحاصلُ ما صَدَرَ عنهم قولٌ بلا فعلٍ[1].

وقد كان هذا الاسمُ في الحقيقة اسمَ مدحٍ، فَبَيَّنَ اللّه تعالى أنَّهم يَدَّعون هذه الصِّفَةَ، ولكنَّهم لَيْسوا مَوْصوفينَ بها عند اللّه تعالى[2].

ففي هذا التَّعبيرِ تَقْريعٌ ولومٌ على هذا الضَّعفِ منَ القومِ الذين يدَّعون بالقولِ واللِّسان انتسابَهم إلى عيسى عليه السلام وفعلُهم يُخالفُ قولَهم ومُعْتَقَدَهَمْ، فَهُو تَوْبِيخٌ لَهُمْ وَزَجْرٌ عَمَّا ادَّعَوْهُ مِنْ أَنَّهُمْ أنصارُ دينِ اللّه وَأَنْبِيَائِهِ، إِذْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مُجَرَّدَ دَعْوَى لَا حَقِيقَةً[3].

واخْتيرَ ما في النَّظْم لِيَدُلَّ عَلَى ذلك، وفيهِ نَوْعُ مُخالَفَةٍ لقوله في سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: 62] مِنْ أنَّهُم سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم نَصَروا المَسيحَ، وظاهِرُهُ أنَّ نُصْرَتَهُمْ واقعيةٌ لا ادّعائيةٌ على أنّه تَعَالَى ذكرَ كثيرًا النَّصارى بِدُون القَوْل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، وغايةُ الأمرِ أنَّهم بعد ما سُمُّوا بالنَّصارَى لِنَصْرِهِمْ رُوحَ اللّه كالحَواريِّينَ بَدَّلوا دينَ اللّه تَعالى، واخْتَلَفُوا بعدَها إلى نَسْطُوريَّةٍ ويَعْقوبيَّةٍ ومَلْكانيَّةٍ أنصارًا لِلشَّيْطانِ[4].

ولا يَبْعُدُ أن يكونَ قَوْلُ: ﴿إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ إشارةً إِلَى ذلك، وفيه تقبيحٌ جسيمٌ جِدًّا؛ حيث يُتَوَقَّعُ منهمُ النُّصْرَةُ كما هو حالُهم أَوَّلًا، ثُمَّ غَيَّرُوا حالَهم وخَسِرَ مآلُهم[5]، فيكونُ تَعْريضًا؛ حَيْثُ يُفيدُ لفظُ ﴿قَالُوٓاْ﴾ بِطَريقِ التَّعريضِ الكِنائِيِّ أَنَّ هذا القَوْلَ غيرُ مُوَفًّى به، وأنَّه يَجِبُ أن يُوفَّى بِهِ[6]؛ لأنَّ ادّعاءَهم لنُصرتِه تعالى يستدعِي ثباتَهم على طاعتِه تعالى ومراعاةِ ميثاقِه[7].

فَلمَّا كان المقصودُ في هذه الآية ذمّهم بنقض الميثاقِ المأخوذِ عليهم في نُصْرَةِ اللّه تعالى، نَاسَبَ ذلك أَنْ يُصَدِّرَ الكلامَ بما يَدُلُّ على أنَّهم لم يَنْصُروا اللّه، ولم يَفُوا بِما واثقوا عليه منَ النُّصْرَةِ، وما كان حاصلُ أمرِهم إلا التَّفوهَ بدعوى النُّصْرَةِ، وقولَها دون فعلها[8].

(1) الخَفاجيّ، عناية القاضي: 3/225.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/326.
(3) أَبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/207.
(4) الزَّمَخْشَرِيّ، الكَشَّاف: 1/616، والبَيْضاويّ، أَنْوارُ التَّنْزيل: 2/118، والخَفاجيّ، عناية القاضي: 3/224.
(5) القُونَويّ، حاشية القُونَويّ على البيضاوي: 7/425.
(6) أَبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/207، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/146.
(7) أَبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/17.
(8) القاسمي، محاسن التأويل: 4/90.

إقامةُ الحُجّةِ عليهم والتّعريضُ بهم

كما أنّ في التّعبير بالاسم الموصول هُنَا وَفي قَوْلِه: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ [المَائِدَة: 82] تَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اسْمَ دِينِهِمْ مُشِيرٌ إِلَى أَصْلٍ مِنْ أُصُولِهِ، وهو أَنْ يَكُونَ أَتْبَاعُهُ أَنْصَارًا لِمَا يَأْمُرُ بِهِ اللّٰه، ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ [الصَّفُّ: 14]، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ أَنْ يَنْصُرُوا القَائِمَ بِالدِّينِ بَعْدَ عِيسَى مِنْ أَتْبَاعِهِ، مِثْلَ بُولُسَ وَبُطْرُسَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ دُعَاةِ الهُدَى، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَنْصُرُوا النَّبِيَّ المُبَشَّرَ بِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ عِيسَى قَبْلَ مُنْتَهَى العَالَمِ، وَيُخَلِّصُ النَّاسَ مِنَ الضَّلَالِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾، الآيَةَ [آل عمرَان: 81]، فَجَمِيعُ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ قَدْ لَزِمَهُمْ مَا التَزَمَهُ أَنْبِيَاؤُهُمْ، وَبِخَاصَّةٍ النَّصَارَى، فَهَذَا اللَّقَبُ، وهو النَّصَارَى، حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ قَائِمَةٌ بِهِمْ مُتَلَبِّسَةٌ بِجَمَاعَتِهِمْ كُلِّهَا[1].

وَمن هنا فحَيْثُ جَاءَ النَّصَارَى مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ إِلَى أَنَّهُمْ قَالُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ العَلَمِ لَمْ يُلْحَظْ فِيهِ المَعْنَى الأَوَّلُ الَّذِي قَصَدُوهُ مِنَ النَّصْرِ، كَمَا صَارَ اليَهُودُ عَلَمًا لم يُلْحَظْ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِه: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَۚ﴾[2].

سِرُّ تَنْكِيرِ الحَظِّ المَذْكورِ وإفرادِهِ:

تَعْظِيمُ شأنِ هذا الحَظِّ

فقد جاء مَكْتُوبًا في الإِنْجِيلِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، والحَظُّ هو الإِيمَانُ بِهِ، وتنكيرُ الحظّ يَدُلُّ على أَنَّ المُرَادَ بِهِ حَظٌّ وَاحِدٌ، وهو الإِيمَانُ بِالرَّسُولِ، وَخُصَّ هَذَا الوَاحِدُ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا أَكْثَرَ مَا أَمَرَهُمُ اللّٰه بِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا هو المُعَظَّمُ والمُهِمُّ[3]، ومَعَ عِظَمِ هذا

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/146.
(2) أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/207.
(3) أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/207.

الحظ وأهمِّيته فقد نَسُوه وتَرَكُوه خَلْفَهُمْ ظِهْرِيًّا؛ لذا عَبَّرَ بالماضي ﴿فَنَسُواْ﴾؛ لأنَّ النِّسيانَ لا يتجَدَّدُ، فإذا حَصَلَ مضى؛ حتى يذكِّرَ بِهِ مُذَكِّرٌ[1]؛ وفي هذا ذَمٌّ ولومٌ شديدٌ لهم؛ إذْ نَسُوا أعظمَ أَمْرٍ وتركوه.

دَلالَةُ استعارةِ لَفْظِ الإغراءِ مع العَداوَةِ والبَغْضاءِ:

بيانُ مُلَازَمَةِ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ لنُفُوسِهِمْ

فالإغْراءُ والإلقاءُ محضُ فِعْلِهِ سبحانه، والتَّعادي والتَّباغضُ أَثَرُهُ، وهو مَحْضُ فِعْلِهِمْ[2]، وحَقِيقَةُ الإغْرَاءِ حَثُّ أَحَدٍ عَلَى فِعْلٍ وَتَحْسِينُهُ إِلَيْهِ؛ حَتَّى لَا يَتَوَانَى فِي تَحْصِيلِهِ، فَاسْتُعِيرَ الإغْرَاءُ لِتَكْوِينِ مُلَازَمَةِ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ فِي نُفُوسِهِمْ؛ أَيْ: لُزُومِهِمَا لَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فشُبِّهَ تَكْوِينُ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ مَعَ اسْتِمْرَارِهِمَا فِيهِمْ بِإِغْرَاءِ أَحَدٍ أحدًا بِعَمَلٍ يعْمَلُه تَشْبِيهَ مَعْقُولٍ بِمَحْسُوسٍ[3]؛ إِذْ إِنَّ أَصْلَ معنى الإغراء الالصاقُ، وغَرِيَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ إذا لَصَقَ به[4]، ومنه الغِراءُ المَعْروفُ، فاستُعمل في لازم معناه، وهو الإلزامُ للعداوة بِأَنْ صارُوا فِرقًا يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[5]، فهو مَجازٌ عن الإلزامِ لِلُزومِهِ لَهُ[6].

بديعُ التَّجريد[7] في العُدول عن تعديةِ الفعلِ بحرفِ الجَرِّ إلى تَعْليقِهِ بالظَّرْفِ:

بَيانُ عِظَمِ العَداوةِ بَيْنَهُمْ وتَمَكُّنِها في قُلوبِهِمْ

ولَمَّا دَلَّ الظَّرْفُ، وهو ﴿بَيْنَهُمُ﴾، عَلَى أَنَّهُمَا أُغْرِيَتَا (بِهِمُ) اسْتُغْنِيَ عَنْ ذِكْرِ متعلّق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾، وَتَقْدِيرُ الكَلَامِ: فَأَغْرَيْنَا العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ بِهِمْ كَائِنَتَيْنِ بَيْنَهُمْ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ العُدُولُ عَلَى تَعْدِيَةِ (أَغْرَيْنَا) بِحَرْفِ الجَرِّ إِلَى تَعْلِيقِهِ بِالظَّرْفِ قَرِينَةً أَوْ تَجْرِيدًا؛ لِبَيَانِ أَنَّ المُرَادَ بـ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: أَلْقَيْنَا[8].

---

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/144.
(2) ابن القيم، شفاء العليل، ص: 58.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/147.
(4) البَيْضاويّ، أَنْوارُ التَّنْزيل: 2/119.
(5) الخَفاجيّ، عناية القاضي: 3/225.
(6) القُونَويّ، حاشيةُ القُونَويّ على البيضاوي: 7/425.
(7) التَّجريدُ هو: انتزاع المُتَكلِّم الأديب من أمْرٍ ما ذي وصفٍ فأكثر أمْرًا آخر فأكثر مِثْلَهُ في الصِّفَةِ أو الصِّفات على سبيل المبالغة، مثاله قول القائل: "لِي مِنْ فُلانٍ صَديقٌ حَميمٌ"، فكأنَّه جرَّدَ فُلَاناً من كُلِّ ظواهره واستخرج منه صَدِيقًا حَمِيمًا.
(8) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/147، والرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 11/326.

والضَّميرُ في ﴿بَيْنَهُمُ﴾ يَحْتَمِلُ أن يَعُودَ على اليهود والنَّصارى؛ لأنَّ العَداوةَ بَيْنَهُمْ مَوجودةٌ مستمرَّةٌ، ويَحْتَمِلُ أن يعودَ على النَّصارى فَقَطْ؛ لأنَّها أمَّةٌ مُتقاتِلَةٌ بينها الفتنُ إلى يوم القيامة[1]، وقد استُخْدِمَ هذا الفعلُ (أغرينا) مع كلمة العداوةِ والبغضاء لِيَدُلَّنَا على عِظَمِ العداوة بينهم ورغبتِهم في إثارتها بين الحِينِ والآخر.

بلاغة توجيه المتشابه اللّفظي في استعمال كلمة الإغراء مع النّصارى والإلقاء مع اليهود:

ومن لطائفِ البيانِ في هذا المقام مجيءُ كلمةِ (أغرينا) هُنا مع النَّصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، في حين نجدُ كلمةَ (ألقَينَا) في موضع آخر استعملت مع اليَهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: 64]، فاليهود تَفَرَّقُوا في وجهات نَظَرِهِمْ وفي آرائهم بما أَدْخَلُوه في التّوراة منَ التَّحريف، والنَّصارى تَفرّقوا تفرّقًا مُضاعَفًا؛ لأنَّهم اعتمدوا التَّوراةَ المحرَّفةَ وضمُّوها إلى الإنجيل الذي حَرَّفوهُ، فصار العَهْدُ القديمُ، الذي هو توراةُ اليهود بكلّ تحريفاتها، والعهد الجديد، الذي هو أناجيلُ المسيحيّين بما دخلها من تَحريفٍ، فهذا التَّحريفُ المضاعَفُ ألصَقَ بينهم العداوةَ والبغضاءَ، وأدَّى إلى هذه الفُرقةِ العظيمةِ بينهم[2].

الخلافات عند النّصارى أكثر التصاقًا بهم من اليهود عبر تاريخهم الطويل

السِّرُ في عَطْفِ البَغضاءِ على العَداوَةِ:

والعَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ اسْمَانِ لِمَعْنَيَيْنِ مِنْ جِنْسِ الكَرَاهِيَةِ الشَّدِيدَةِ، فَهُمَا ضِدَّانِ لِلْمَحَبَّةِ، فَإِنْ كانَتِ العَدَاوَةُ أَعَمَّ مِنَ البَغْضَاءِ زَادَتْ فَائِدَةُ العَطْفِ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ فِي مَعْنَى الاحْتِرَاسِ[3]، وإِنْ كَانَتِ العَدَاوَةُ

تأكيدُ تأصُّلِ هاتين الصِّفتَيْن في قلوبِ اليهودِ والنَّصارَى

(1) ابنُ عَطِيَّة، المُحَرَّرُ الوَجيز: 2/170.

(2) ابن تيميَّة، الجواب الصَّحيح: 3/18.

(3) الاحتراس أو التَّكميل: اسمان أُطْلِقا على مسمًّى واحد، هو زيادةٌ إطنابيّةٌ في الكلام يَدْفَع بها المتكلّم إيهامًا قد يُفهم من كلامه.

أَخَصَّ مِنَ البَغْضَاءِ لَمْ يَكُنِ العَطْفُ إِلَّا لِلتَّأْكِيدِ؛ لِأَنَّ التَّأْكِيدَ يَحْصُلُ بِذِكْرِ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى بَعْضٍ مُطْلَقٍ من معنى المؤكَّد، فَيَتَقَرَّرُ المَعْنَى وَلَوْ بِوَجْهٍ أَعَمَّ أَوْ أَخَصَّ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِهِ مَعْنَى التَّأْكِيدِ[1].

وقد يَخْتَلِفُ المعْنيانِ فيكونُ إلقاؤُهما بَينهم على مَعْنَى التَّوْزِيعِ؛ أَيْ: أَغْرَيْنَا العَدَاوَةَ بَيْنَ بَعْضٍ مِنْهُمْ، وَالبَغْضَاءَ بَيْنَ بَعْضٍ آخَرَ، فَيقَعَ فِي هَذَا النَّظْمِ إِيجَازٌ بَدِيعٌ[2].

فَائِدَةُ ذِكْرِ الغايةِ في قوله ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

تَعْجيلُ المَساءَةِ لهم في الدُّنيا مع ما يُدَّخَرُ لهم من عذابٍ بعدَ القيامةِ

وإِلقَاءُ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ كَانَ عِقَابًا فِي الدُّنْيَا لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: 14] جَزَاءً عَلَى نَكْثِهِمُ العَهْدَ، وَأَسْبَابُ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ شِدَّةُ الاخْتِلَافِ؛ فَتَكُونُ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ فِي نِحَلِ الدِّينِ بَيْنَ يَعَاقِبَةٍ، وَمَلْكَانِيَّةٍ، وَنَسْطُورِيَّةٍ، وَهَرَاتِقَةٍ (بُرُوتِسْتَانْتَ)، وَتَكُونُ مِنَ التَّحَاسُدِ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَتَاعِ الدُّنْيَا، كَمَا كَانَ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رُؤَسَاءِ دِيَانَتِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أُغْرِيَتْ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةُ وَهُمْ لَمْ يَزَالُوا أَلْبًا عَلَى المُسْلِمِينَ؟ فَجَوَابُهُ: أَنَّ العَدَاوَةَ ثَابِتَةٌ بَيْنَهُمْ فِي الدِّينِ بِانْقِسَامِهِمْ فِرَقًا، وَذَلِكَ الانْقِسَامُ يَجُرُّ إِلَيْهِمُ العَدَاوَةَ وَخَذْلَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، ثُمَّ إِنَّ دُوَلَهُمْ كَانَتْ مُنْقَسِمَةً وَمُتَحَارِبَةً، وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ[3]، وَإِنَّمَا تَأَلَّبُوا فِي الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ عَلَى المُسْلِمِينَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ تَخَاذَلُوا وَتَحَارَبُوا، وَلَا يَزَالُ الأَمْرُ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ إِلَى الآنَ، وَكَمْ ضَاعَتْ مَسَاعِي السَّاعِينَ فِي جَمْعِهِمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَتَأْلِيفِ اتِّحَادٍ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ اخْتِلَافُهُمْ لُطْفًا بِالمُسْلِمِينَ فِي مُخْتَلِفِ عُصُورِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ، عَلَى أَنَّ اتِّفَاقَهُمْ عَلَى أُمَّةٍ أُخْرَى لَا يُنَافِي تَمَكُّنَ العَدَاوَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَفَى بِذَلِكَ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى نِسْيَانِهِمْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ[4].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/148.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/148.
(3) وكم وقع بينهم من القتل في الحربين العالميّتين الأولى والثّانية! وكم حَصَدَت هذه الحروب ملايين الأرواح من نصارى ويهود وغيرهم!
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/149.

سِرُّ التَّعبيرِ عنِ المجازاةِ بالتَّنْبئةِ:

التَّهديدُ والوعيدُ بـــشِـــدَّةِ مـا يَنْتَظِرُهُمْ وهَوْلِهِ

فقولُه ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾ تَهْديدٌ؛ لِأَنَّ المُرادَ بالإنْباءِ إنْباءُ المُؤاخَذَةِ بصَنيعِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 135]، وهذا يُحْتَمَلُ أَنْ يَحْصُلَ في الآخِرَةِ، فَالإنْباءُ عَلَى حَقيقَتِهِ؛ أَيْ: يُخْبِرُهُمْ في الآخرة بما كانُوا يَصْنَعُونَ في الدنيا، وهو وعيدٌ شديدٌ بالجَزاءِ والعذابِ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ يَتَوَعَّدُهُ: سَأُخْبِرُكَ بما فعلتَ؛ أي: يُجازيهم بما عَمِلوا على الاستمرارِ مِنْ نَقْضِ الميثاقِ ونِسْيانِ الحَظِّ الوافرِ ممَّا ذُكِّروا بِهِ[1]، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَحْصُلَ في الدُّنْيا، فَالإنْباءُ مَجَازٌ في تَقْديرِ اللهِ لَهُمْ حَوادِثَ يَعْرِفُونَ بِهَا سُوءَ صَنيعَتِهِمْ[2]، فيكونُ الإنباءُ مجازًا عن وقوعِ ذلك وانكشافِه لَهُمْ، لا أَنَّ ثَمَّةَ إخبارًا حقيقةً[3]، فَعَبَّرَ بالمُشَبَّهِ به، وهو الإخبارُ بِصُنْعِهِمْ، عن المُشَبَّهِ، وهو العِقابُ بالحوادث والقوارع[4].

كما أنَّ التَّعبيرَ عنِ المجازاة بالتَّنْبِئَةِ للتَّنْبيهِ على أَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ حقيقةَ ما يَعْمَلُونَه منَ الأعمالِ السَّيِّئَةِ واسْتِتْباعِها لِلْعذابِ؛ فيكونُ ترتيبُ العذابِ عَلَيْها في إفادة العلم بِحَقيقَةِ حالِها بمنزلة الإخبارِ بها[5].

وفي هذا الوعيد تأكيدٌ بذِكْرِ كلمةِ (سَوْفَ)، والالتفاتُ إلى ذِكرِ الاسمِ الجليلِ (اللهِ)؛ لتَرْبيةِ المهابَةِ، وإدخالِ الرَّوعةِ؛ لِتَشْديدِ الوَعيدِ بعذابِ الآخِرَةِ[6].

دَلالةُ التَّعبيرِ عنِ العملِ بالصُّنْعِ:

الإيـــــــذانُ بِرُسـوخِـهِـمْ في ذلك، وتوبيخُهم عليه

فالتَّعبيرُ عنِ العملِ بالصُّنعِ مع كونِ الصُّنعِ أخصَّ للإيذانِ

(1) البروسوي، روحُ البَيان: 2/367.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/150.
(3) الخَفاجيّ، عناية القاضي: 3/225.
(4) القُونَويّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البيضاوي: 7/425.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/17.
(6) أبو حَيّان، البَحْرُ المُحيط: 4/208، وأبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/17، والبروسوي، روحُ البَيان: 2/367، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/150.

بِرُسوخِهِمْ في ذلك[1]، فكأنَّ خياناتِهم من نقضٍ للميثاق، ونَكْثٍ للعهد، وتبديلٍ للكتاب، وتحريفٍ للأوامر والنَّواهي قد صارت لهم فيها مَلَكَاتٌ بما لازموا منها حتى ضُرِبُوا بها وتَدَرَّبُوا عليها؛ حتَّى صارت لهم أحوالًا لأنفسهم، وأخلاقًا لقلوبهم؛ أي: دَرَّبوا أَنْفُسَهم عليها حتَّى صارت لهم صَنْعَةً[2]، فكان الجَزَاءُ على ذلك بِقَدْرِ ما يَسْتَحِقُّونَ؛ ليعلمُوا أنَّ اللهَ حَكَمٌ عَدْلٌ، لا يظلمُ مثقالَ ذَرّةٍ، وفي هذا وعيدٌ شديدٌ لهم، وهو تقريرٌ وتوبيخٌ بالعذاب؛ إذْ صُنْعُهُمْ كُفْرٌ يُوجِبُ الخُلودَ في النَّار[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأَخْذ والتَّناوُل:

التَّناولُ أخصُّ من الأخذ، ويكونُ التَّناوُلُ بقصْدٍ

الأخذُ: حوزُ الشّيءِ وتحصيلُه، وذلك تارةً بالتَّناوُل، نحوَ: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف، الآية 79]، وتارةً بالقهر والغلبة، نحو: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: 229]، ومنه: أخذتْهُ الحُمّى، وفلان يأخذُ مأخذَ فلان: يذهبُ مذهبَه ويسلكُ مسلكَه[4]، وقد يكون بِمَعْنى فعلٍ آخرَ مَعَ صِلَةٍ أُخْرَى كـ(أَخذ بِهِ)؛ فَإِنَّهُ بِمَعْنى (حمل عَلَيْهِ)، وَمنه قوله تعالى: ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ [البقرة: 206]؛ أي: حملته العزّةُ وحميّةُ الجاهلية على الفعلِ بالإثم[5]، أمَّا التَّناوُلُ؛ فهو أَخْذُ الشَّيءِ للنَّفس خاصَّة، ويجوزُ أن يُقال: إنَّ التَّناوُلَ يقتضي أَخْذَ شيءٍ يُحْتاجُ إليهِ ليُستعملَ في أمرٍ منَ الأُمورِ؛ ولهذا لا يُستعملُ في حقِّ اللهِ تعالى؛ فَيُقال: تناولَ زيدٌ الطَّعامَ؛ أي: أكلَه، فالأخذُ أعمُّ، والتَّعبيرُ بالأخذ في هذا الباب أليَقُ؛ لاشتمال لفظِ التَّناوُلِ على معنى الحاجة والافتقارِ إلى الشَّيءِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الأحزاب: 7]، ولم يقل: تَناوَلْنَا، وقيل:

(1) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/17، والبروسوي، روحُ البَيان: 2/367.
(2) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 6/61 - 62.
(3) ابْنُ عَطِيَّة، المُحَرَّرُ الوَجيز: 2/170، والهَرَري، حَدائِقُ الرَّوْحِ والرَّيْحان: 7/176.
(4) المَنَاويّ، التَّوقيف، ص: 42.
(5) الكَفَوِيّ، الكُلِّيات، ص: 62، والبَغَويّ، مَعالِمُ التَّنْزيل: 1/236.

التَّناوُلُ أخذُ القليل المقصودِ إليه؛ ولهذا لا يُقال: تناولتُ كذا من غير قصْدٍ إليهِ، ويقال: أخذتُه من غيرِ قصد[1].

العَهْد والميثاق:

العهدُ هو الالتزامُ بإلزام اللّه، أو إلزامُ العبدِ لنفسِه[2]، فيُقال في العهد: عَهِدَ إليه في كذا: أوصَاه به، والعهد في لسان العربِ له معانٍ، منها: الوصيةُ، والضَّمانُ، والأمرُ[3]، أمَّا الميثاقُ فهو ما وُثِّقَ به العهدُ منَ القَبولِ والإلزام والحَلِفِ[4]، فالميثَاقُ توكيدُ العَهْد، وهو مأخوذٌ من أوثقتُ الشَّيْءَ إذا أحكمتُ شدَّهُ، وَأخذتُ الأمرَ بالأوثقِ؛ أَي: الشَّديدِ المُحكم[5]، وقال بعضُهم: العَهْدُ يكونُ حَالًا منَ المتعاهِدَيْن، ويَقْتَضِي الإنجازَ، والميثاقُ يكونُ من أَحدهمَا[6]، فالعهدُ إلزامٌ والتزامٌ، سواءً كانت فيه يمينٌ أو لم تكن، والميثاقُ هو العهدُ الشَّديدُ المؤكَّدُ، فهو نوعٌ منَ العهد.

العـهـدُ أعـمُّ مـنَ الميـثـاقِ في معناه، والميثاقُ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ

النَّصِيب والحَظّ:

النَّصيبُ هو الحظُّ والقَسْمُ من كُلِّ شيء[7]، فيكونُ النَّصيب في المحبوب وَالمَكْرُوه، يُقَال: وفَّاه اللّه نصيبَه منَ النَّعيم أَو منَ العَذَاب، والحَظُّ هو النَّصيبُ المُقَدَّرُ مِنَ الفَضْل والخيْر[8]، فلَا يُقَال حَظُّهُ منَ العَذَاب إِلَّا على اسْتِعَارَةٍ بعيدَةٍ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الحَظِّ هو مَا يُحْظِه اللّه تَعَالَى للْعَبد منَ الخَيْر، والنَّصيبُ مَا نُصِبَ لِلْعَبْدِ لِينالَه سَوَاء كَانَ مَحْبوبًا أَو مَكْرُوهًا؛ ولهذا كان الحَظُّ اسْمًا لما يرْتَفع بِهِ المَحْظوظُ، فيُذكرُ على جِهَةِ المَدْحِ، فَيُقَالُ: لفُلَانٍ حَظٌّ، وهو مَحْظوظٌ، وفي

الـحـظُّ نصيبٌ مُـقَـدَّرٌ مِـنَ الفَضْلِ والخيْرِ، والنَّصيبُ يَعُمُّ المحبوبَ والمَكْرُوهَ

(1) العَسْكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويّة، ص: 139.
(2) السَّعْدي، تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمن: 1/83.
(3) الخليل، العين: (عهد)، والكَفَوِيّ، الكُلِّيات، ص: 640، والقرافي، أنوار البروق: 3/37.
(4) المَنَاويّ، التَّوقيف، ص: 320.
(5) ابْنُ دُرَيْدٍ، جَمْهَرَةُ اللُّغَة: (ثقو).
(6) العَسْكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويّة، ص: 57.
(7) ابن مَنْظورٍ، لِسَانُ العَرَب، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (نصب).
(8) الخليل، العَين: (حظ)، والأَزْهَريّ، تَهْذيبُ اللُّغَة: (حظ).

التَّنزيل: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القَصَص: 79]، والنَّصيبُ مَا يُصِيبُ الإنسانَ من مُقاسمةٍ، سَوَاءً ارْتَفع بِهِ شَأْنُه أم لَا؛ ولِهَذَا يُقَال: لفُلَانٍ حَظٌّ في التِّجَارَة، ولَا يُقَال: لَهُ نصيبٌ فِيهَا؛ لِأَنَّ الرِّبْحَ الذِي يَنَالهُ فِيهَا لَيْسَ عَن مُقاسَمَةٍ[1].

العَدَاوَة والبَغضاء:

العَدَاوَةُ: الانقطاعُ والبِعادُ مِنْ حَال النُّصْرَةِ، ونَقيضُها الولَايَة، والبَغْضاءُ شِدَّةُ إِرَادَة الاستحقار والإهانة، ونقيضُها المحبَّةُ، وهي إرادة الإعظام والإجلال، والعداوةُ إِرَادَةُ السُّوءِ لما تُعاديه، وتكونُ بالفِعال، وهي سَبَبٌ في التَّباغُض، والبغضاءُ تكونُ بالقلوب[2].

العداوةُ تكونُ في الفعْلِ، وهي سببٌ في تباغُضِ القلوبِ

الصُّنع والفعْل والعمل:

الفِعْلُ لَفْظٌ عامٌّ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ[3]، فهو مُطْلَقُ التَّأثيرِ من جهةِ مُؤَثِّرٍ[4]، سواءً كان عن سبب أو لا، ويُقال لِمَا كان بإجادةٍ وبدونِها، ولِمَا كان بِعِلْمٍ أو غَيْرِ عِلْمٍ، وقَصْدٍ أو غَيْرِ قَصْدٍ[5]، وأمَّا العملُ فهو عبارةٌ عن إيجاد الأثرِ في الشَّيءِ مع امتدادِ زمانٍ، ولا يُقالُ إِلَّا لما كان بقصدٍ وعِلْمٍ دون ما لم يكنْ عن قصدٍ وعلمٍ، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: 25]، فعبَّر عن ذلك بالعمل؛ لأنَّه لا يكون إلا بِقَصْدٍ وامتدادِ زمانٍ.

الصُّنْعُ أَخَصُّ المَعاني الثَّلاثَةِ وأَرْسَخُها، والفعلُ أَعَمُّهَا، والعَمَلُ أَوْسَطُهَا

وأمَّا الصُّنْعُ فهو: تَرْتيبُ العَمَلِ وإِحْكامُهُ على ما تَقَدَّمَ عِلْمٌ به، وبما يُوصِلُ إلى المُراد منه؛ ولذا قيل لِلعِلْمِ المُتَعَلِّقِ بكيفيَّةِ العملِ صِناعَةٌ[6]، ويَدُلُّ على رسوخ العَمَلِ وإِجادَتِهِ، فَيُقالُ للنَّجّار صَانِعٌ؛

(1) العَسْكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويّة، ص: 165.
(2) العَسْكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويّة، ص: 131، والنيسابوري، باهِرُ البُرْهان: 3/1495.
(3) ابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (فعل).
(4) الرَّاغِب، المُفْرَدات: (فعل).
(5) المَنَاوِيّ، التَّوقيف، ص: 262.
(6) الجُرْجانِّي، التَّعْريفات، ص: 134، والتَّهانويّ، كشَّافُ اصطلاحات الفنون: 2/1097.

لأنَّ النَّجّارَ قد سَبَقَ عِلْمُهُ بما يُريدُ عَمَلَهُ، وعَلِمَ بالأَسبابِ التي تُوصِلُ لِلْمُرادِ من ذلك والصُّنْع؛ فالصُّنْعُ أَخَصُّ المَعاني الثَّلاثَةِ، والفعلُ أَعَمُّهَا، والعَمَلُ أَوْسَطُها، فكلُّ صُنْعٍ عَمَلٌ، ولَيْسَ كُلُّ عَمَلٍ صُنْعًا، وكلُّ عملٍ فِعْلٌ، ولَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ عَمَلًا[1].

(1) العَسْكَرِيّ، الفُروقُ اللُّغَويّة، ص: 134.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»